مسألة اليوم

في سبيل العربية

ما بين الجمود والاصلاح

استعراضٌ نقديٌّ بقلم الدكتور احمد زكي ابي شادي

١ — تمهيد

بالامس القريب ثارت ثائرة الادباء في فلسطين لانّ صحيفة انجليزية أنشأت قسماً عربيًّا لها مكتوباً بالحروف اللاتينية . وأحسب انّ كل اديب عربي بعيد النظر لن يتردّد لحظةً في مشاركة اولئك الساخطين في شعورهم واحتجاجهم ، لان هذه هي الخطوة الاولى للقضاء على العربية ، وفي القضاء عليها قضاء على ما يتبعها من مقوّمات اجتماعية وادبية وسياسية نلوذ بها ونعتزّ ، ونتّخذها عماداً لنهضاتنا المتتابعة

لعلّ من خير الانسانية ان تكون لها لغة واحدة ، ولعلّ اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الانجليزية — لسان العالم الجديد : مقرّ أرقى حضارة عرفها البشر ، ولسان الامبراطورية الانجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة كثيرة كاليابان والصين والهند . بَيْدَ أنهُ من خبال الخيال أن نتصوّر إمكان القضاء البات على اللغات القومية ما دامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مبجّلة . وغاية ما يسوّغ لنا العقلُ تصوُّرَهُ إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعاً كافياً لتكون اللسان الاول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة دون أن يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها . وقد ذكرتُ آنفاً ان اللغة الانجليزية مرشحة قبل سواها (ولا استثني الفرنسية) لتبوُّء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالي . وقد اصبحت الانجليزية بما تستوعبهُ من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لأرقى معارف الامم ، وصار التبحر فيها مغنياً في معظم الاحوال عن الألسنة الاوروبية الاخرى . ولكنهُ رغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن امة من الامم التابعة للتاج البريطاني أنها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم

والفنون والآداب عن لسانها القومي الرؤوم ، ذلك لانها تحسُّ انهُ وحده مستودع اسرارها واحلامها وآلامها

هذا مثلٌ نسوقه لنسوّغ بهِ تعلقنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق ايضاً) بلساننا القومي ، دون أن تكون في هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا اية معاداة لنزعتنا العالمية . وما من شكّ في ان اللغة العربية — وريثة الكثير من المدنيات القديمة — قد برهنت على استطاعتها ان تتكيف في اقطار شتى بلهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذي يجعل حتى من صورتها الفصحى ألسنة قومية متعددة لافارق بينها الا في ما يسبغهُ عليها الذوقُ المحليُّ من الوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليهِ كل امة تعدها لسانها القومي

مما تقدم يتجلى لنا ان محاولة القضاء على الخط العربي مثلاً لا تجدينا شيئاً لانها تجعلنا نفقد صلاتنا بالماضي وهو تراث ثمين لنا ، ولا تكسب الانسانية خيراً لانها لا تساعد على تعزيز اللغة العالمية المرتقبة فهذه اللغة منزلتها لامحالة بحكم الحاجة العامة وبدوافع الروح العالمية التي اخذت تسيطر على الفكر الانساني ، وكل ما سينشأ عن هذا العبث او عن هذه الثورة الناشئة لو نجحت هو افساد اصول العربية وتكوين لغة خلاسية جديدة لاثقافة لها تدعمها ، وهكذا نخسر خسراناً مبيناً عن ضلالة الهوى

فاذا كانت هناك مسألة جديرة باتفاق المحافظين والمجددين على السواء فهي صيانة حرمة لغتنا وشخصيتها ، واذا كان الاختلاف بينهم مبعثهُ غيرة كل فريق منهم على كرامة هذه اللغة فأكرم بهذا الاختلاف واجمل بهِ

ومن رأيي انهُ لا يمكننا التهاون آمنين في ما يُدعَى بصغريات المسائل الخاصة بكيان اللغة وحياتها لان هذا التهاون — سواء كان في صورة الجمود او الاستهتار — متى بدأ بهذه المسائل الصغيرة تدرَّج الى الكبريات وجنى على اللغة تدريجيًّا . فكلُّ عنايةٍ باللغة وان حُسبت صغيرةً ذات أثر في حفظ صحتها وترجيح حياتها . ومن اجل هذا تفرحني كلُّ عنايةٍ بها في المطبعة وفي الصحافة وفي التأليف شكلاً وروحاً ، عرَضاً وجوهراً . لذلك لم تفتني الاشارة النقدية الى استعمال إحدى مطابعنا الشهيرة حروفاً قديمة للعناوين الجانبية لتكون بارزة الى جانب الحروف الجديدة (المقتطف م ٧٤ ص ٥٨٩) ، ومن اجل ذلك رحّبتُ بالجهود الذي تبذلهُ الآن بعض مطابعنا الكبرى لاتقان صناعة آلات الصفّ الفردي (monotype) والصفّ السطري (linotype) العربية ، ولهذا السبب سُررتُ بالعناية المطّردة الى تحسين الطباعة العربية كتابةً وترتيباً واخراجاً . وما اشك

في ان كثيرين من رجال القلم — فضلاً عن جمهرة القراء — يشعرون بمثل هذا الارتياح. فالعناية باللغة يجب ان تكون عناية عملية تطبيقية ، لاشقشقة لسان رفيقة لمجهوده ويجب أن تشمل جميع مظاهر الحياة لغة حتى يكون لها الاثر الاتم

٢ — سعة العربية

سمعنا تكراراً أنّ كلام العرب « لا يحيط به الاّ نبيٌّ » ، وأنّ ابنية اللغة العربية تتجاوز الاثني عشر مليوناً من الكلمات على ما ذكر الخليل بن احمد ، وانّ الزّبيدي قدر أن عدّة مستعمل الكلمات العربية الكائنة فعلاً ومُهملها يُربي على ستة ملايين ونصف المليون من الكلمات . وكلٌّ هذا من قبيل المباهاة التي لا جدوى منها ، لاننا في غنى عن كلّ هذه الملايين من الالفاظ التي يمكن نحتها بغير اصول فنية ، والتي تستطيع اية لغة ان تجارينا فيها متى تطرّقنا الى باب النحت الصناعي الصوتي على غير اساس معقول سوى تركيب الحروف في صور كلمات ثنائية وثلاثية الخ . ا ولعلّ في معجم وبستر الاممي (Webster's International Dictionary) بكلماته التي لا تبلغ المليون عدّاً من الثروة اللغوية والذهنية ما يفوق في قدره دعاوي تلك الملايين الوهمية من الكلمات العربية ، وما هو أدعى حقّاً الى الفخر به لدى اصحابه

فاذا شئنا ان نفخر بسعة العربية فلنفتخر بثروة مترادفاتها ، وبمفرداتها الجمة الكفيلة بالتعبير عن عواطف النفس وخلجاتها ، وعن صنوف المعاني العامة كيفما كانت ومهما تعدّدت واستدقت ، وعن تعابيرها المتنوعة الطيّعة لكلّ مَنْ تذوّق بلاغتها وتعرّف روحها . ولكن هذا الفخر عملي ، اي مقروناً بمواصلة الدرس لها وباستخراج كنوزها الى عالم النور . اما التشدق النظري بسعة العربية — ذلك الذي يقود الى الجمود ثم الى التعصب ضدّ التعريب كلما دعت الحاجة اليه — فليس من البرّ باللغة في شيء . ومن العبث التمثل بالجرمانيين ، فتلك نعرة اخذت تتضاءل امام روح الثقافة العالمية المتسلطة في هذا الوقت خاصة على المتازين من اهل العلم والادب في جميع الشعوب الحية

لنؤمنْ اذن بسعة العربية الى حدٍّ ما ، عاملين على تداول الجيل من الفاظها المنسية وجمع المتفرّق الضائع منها ، مجدّدين ما شاء العصر في تعابيرها ، نازعين الى الاخصّ الى ما يصحّ لنا ان نسميهُ بالاسلوب المتعادل (Neutral Style) — ذلك الاسلوب الذي يعبرّ تعبيراً مستقيماً عن افكارنا وعواطفنا ومعارفنا بغير لغو او اسراف ، بحيث لا يشقّ نقلهُ في مجموعه سواء اكان نثراً او نظماً ، تقريراً او شعراً ، من اية لغة الى اخرى دون ان يفقد بهاءه ما دامت القدرة على النقل موفورة

ومن العجيب انهُ لا يزال بيننا من يتحدث عن المفردات والاساليب الفصيحة الاولى حينما لا تعرف هذه الاساليب القديمة المرنة حياة صافية أكثر من قرن بعد ظهور الاسلام، وهذه سنة النماء والتطور الطبيعية التي لا غضاضة فيها ولا ضير منها على اللغة ما دامت غذاءً لحياتها، لا داءً متسرباً الى كيانها. والفصاحة على أيّ حال مسألة نسبية في شتّى الصور، ولا يمكن ان يصونها الاستقرار والانغلاق، حينما التطور العالمي ينادي بحاجات جديدة في كل شيء

ولسنا الآن بحمد الله في عصر جهل وانحطاط كعصر القول والنثر، بل نحن في عصر بعث أكيد، بل نهضة للغة العربية في معظم البلاد التي تعتبرها ألسنتها القومية، وما ذلك الاّ بفضل التجدّد القوي والرغبة الصحيحة في نشر العلوم والآداب العصرية وإحياء القيّم العزيز من الآداب العربية الاصلية . وما دامت هذه النهضة يمدّها الاخلاص وحب الحق والتسامي بروح المرونة فهي متواصلة لا محالة، وسيمّ خيرُها لسبة مطردة النموّ — إن عاجلاً او آجلاً — من الستين مليوناً بل يزيدون من الناطقين بالضاد. ولن تعرقل ذلك الانزعة الجمود والرجعية العمياء التي تحسب إعزاز اللغة في المباهاة بماضيها، حينما سمتها بل حياتها لا تتجلى بغير الاستعمال، ولا يكون الاستعمال بالاقتصار على تكرار القديم المعاد وإنما يكون بخدمة الثقافة العصرية قبل سواها، لان اللغة اساساً وسيلة لا غاية وإن تكن موضع تقديرنا وحبنا . ومن هذا نستخلص ان كل من يتعاون على جعل اللغة تستوعب معارفَ العصر وآدابه في غير جمود ولا استهتار هو الذي يبرهن على سمّوها بل يزيدها رحابة، وهو اولى من سواه بالفخر، واجدر بان يصغى اليه في عطف ومؤازرة . كذلك نستخلص مما تقدّم ان كل حركة تعادي الابتداع في النقل والتعريب — متى كان ذلك بايدي القادرين عليه — انما هي حركة غاشمة تعتز بثروة مبهمة مدفونة لا يمكن الانتفاع بها، لان اللغة ليست معاجم ميتة بل هي ثقافة حية دائمة الاثر تحملها المفردات والتعابير ولا يمكن أن تعيش الاخيرة بغير الاولى . وبهذا التطبيق وحده آمنّا بسعة العربية وليونتها وقابليتها للتجديد حينما دوّنت بها نفائس مدنيات شتى في غابر العصور شرقاً وغرباً، وحينما كانت أهلاً لإنجاب اعلام الفلاسفة وكبار العلماء وفحول الكتاب والشعراء المتصرفين اقدر تصرّف في اوضاعها استعمالاً واستحداثاً، اشتقاقاً وتعريباً. واذا كان الماضي في أحايين كثيرة مرآة الحاضر فنحن لا نغالي اذا اعتقدنا ان هذه الحرية المعقولة في التعبير وفي تطويع اللغة لحاجات الزمان والمكان والثقافة هي التي زادت العربية في الماضي سعة على سعة وحققت انها كائن حيّ، وهي الكفيلة في زمننا هذا بابلاغها كل ما نتمنى لها من مكانة وسؤدد

٣ — المجامع اللغوية

اذا تتبعنا تاريخ تكوين مجامعنا اللغوية على حداثتها وجدنا أن أقوى البواعث على تأليفها هو روح الغيرة على كيان اللغة ، ولكنها غيرة تتسم بنزعة المحافظة والرجوع بنا الى منابعها الأولى والتخلي عن الصلات العالمية ! والدليل على ذلك أن أكثر أعضاء هذه المجامع هم من فقهاء اللغة المقلين الذين قد يعجزون عجزاً تاماً عن تطبيقها في مناحي العلوم والآداب، وبرغم ذلك تتصور الحكومات التي تقيم أمثال هذه المجامع انها تكون خطيرة الاثر في الحياة الأدبية ، وانها سوف تجد من الادباء الذين يحترمون أنفسهم من يمكنه أن يستسيغ فيستعمل معظم بَلْهَ كلَّ المصطلحات التي تنشط الى وضعها هذه المجامع.ولن يشقُّ عليَّ ضربُ الامثلة الصريحة تبياناً لهذه الضلالة ، ولكن ربما كان التلميح أكرم من التصريح في هذا الموقف . واذا صحَّ ان نية الحكومة المصرية متجهة الى اتباع هذه الخطة العقيمة فان هذه الغلطة الجديدة سوف تستثير أسفنا الجدّ على ضياع الوقت والجهد والمال . على ان ما اعتقدهُ في حصافة معالي لطفي بك السيد وحكمتهِ وترحيبهِ بكل ملاحظة وجيهة أيًّا كان مصدرُها يشجعني على بسط هذا البيان ، راجياً في الوقت ذاتهِ ان يكون ذا أثر خارج مصر وإن يكنْ ضئيلاً في أولهِ *

إذا اردنا أن نكون عمليّين جديين دون افتتان بالتقليد فعلينا ان نذكر ان حاجتنا من المحافل أو المجامع اللغوية في العالم العربي إنما هي تجديد شباب اللغة بحالة دائمة مع مجاراة تطور الزمن ، ثم هي الى جانب ذلك قيمة على توحيد المصطلحات الفنية المستعملة في الامم العربية . فلها إذاً وظيفة مزدوجة ذات صلة وثيقة بهيئات أدبية وعلمية شتى ، دعْ عنك صلاتها بشعوب متعددة . ومن اجل كل هذا أُخالف من عملوا على ان تكون هذه المجامع هيئات معينة من قبل الحكومات ، وأرى ان تكون هيئات نيابية تمثل هيئات فكرية مختلفة لتكون فيها عناصر الادب والعلم ممثلة خير تمثيل ، إذ ما من تعيين الا ويكون غالباً موضع اعتراض وربما وُجد ما هو افضل منهُ . وبعبارة اخرى لا فائدة من مجامع تتسلط على هيئات الثقافة في شعوبها وتتحكم فيها ، وانما الخير كلُّ الخير في هذه المحافل اذا مثلت تلك الهيئات ، وكانت غايتها تضافر جهودها وتوحيدها ، ثم عملت من جهة اخرى على التعاون مع من تمثلهم

ولدينا في اللجنة اللغوية الطبية التي ألفتها (الجمعية الطبية المصرية) مثال جدير بالاحتذاء من الهيئات العلمية والادبية الاخرى . فمن الخير لنا ان توجد لجنة لغوية هندسية ، واخرى زراعية ، وغيرها صناعية الخ . ومن الفائدة المحققة ان توجد جمعية لغوية لخدمة

فقه اللغة وأدبها العام . ومن هذه الهيئات القوية التمثيلية تستطيع الحكومة المصرية أن تطلب ارسال مندوبيها أعضاء في المجمع اللغوي العام، على أن يُحدَّد انتخاب هؤلاء المندوبين أو سواهم في مدد معينة . فاذا تحقق ذلك كان لمثل هذا المجمع كلمتهُ المسموعة في جميع دوائر العلم والأدب التي يُستشَدُ بها ، لانهُ يمثل روحها الناهضة ولا يتحداها باملاء ارادته العمياء عليها

إن مجمعاً لغويًا يؤلف بهذه الصورة يكون حقاً ذا قوة معنوية عظيمة ، لانهُ بمثابة هيئة تمثيلية لخير الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وبهذه الخاصية يكون اهلاً للاحترام الكلي من كل جانب ، فيناله خادم جميع هذه الهيئات إذاء عملها المجّل لانهُ رمز تضامنها وتعاونها ووحدتها المعنوية والفعلية . عليه ان يكون ذا صلة مستمرة بالهيئات التي عاونت الحكومة على تأليفه ليعبر عن آرائها وينفذ مقترحاتها ويعمل على التوفيق بينها بقدر الاستطاعة ، وعلى هذه الهيئات أن تمدَّ المجمع بنتائج بحوثها الخاصة وثمار جهودها ، وأن تعنى بتنفيذ مقترحاته ايضاً ، وان تحترم قراراته ، وبذلك يكون التعاون تبادلاً معقولاً وتلكبهُ محترمة مكفولاً لها التنفيذ والحياة كما هو شأن النُّظم التمثيلية القوية البعيدة عن ثائرة الاهواء الوقتية . وعندي ان مثل هذا المجمع هو الحلُّ الوحيد المعقول لمشاكلنا اللغوية الموزَّعة بين شتى الهيئات التي لم يجمع بينها حتى الآن روح التعاون. وقد مضى ربع قرن بل يزيد في التحدث عن المجامع اللغوية فلم نظفر في الماضي ولا في الحاضر في اي قطر من الاقطار العربية بمجمع شامل قوي الاساس قوامه التمثيل الصحيح لنواحي الثقافة لا الرغبة الشخصية لحاكم او وزير. وهكذا ما يزال العالم العربي محروماً تأليفَ الاكاديمية النيابية التي تستطيع وحدها ان تكون بعيدة الاثر في جميع فروع العلم والادب سواء مباشرة او غير مباشرة . وفي مقدمة الدوافع التي تحفزني الى كتابة هذه السطور ان اتوسل الى ذوي الرأي والنفوذ في الاقطار العربية أن ينظروا نظرة حرة جديدة في تهذيب المجامع الكائنة وذلك على اساس تمثيل الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وأن لا يقدموا على تأليف سواها على غير هذا الاساس

٤ — مشكلة الترجمة والتعريب

ننتقل الآن الى مشكلة الترجمة والتعريب المرتبطة أشد الارتباط بالمجامع اللغوية فنقول إن الوهم الشائع هو أنَّ حلَّ هذه المشكلة مفتاحهُ تأليفُ مجمعٍ لغوي في كل قطر عربي يقوم بوضع المصطلحات، وما على المعربين والمترجمين بعد ذلك الا متابعة قراراته وارشاده ! وبغض النظر عن استحالة تنفيذ ذلك جهداً ووقتاً بواسطة هيئة معينة اعضاؤها محدود

عددهم وكفاياتهم فلا شك فيه انا نبني هنا على غير اساس صحيح، ونخلق للترجمة والتعريب مشكلة حيث لا توجد في الواقع مشكلة الا من جراء اضطرابنا وعدم نظرنا الى الامور نظراً مسدّداً حتى التبس علينا الامر فغابت عنا الحقائق . إن عقدة المشكلة محصورة في تعوُّد شيوخنا التقاليد غير النيابية ، وافتتانهم باصدار المراسيم واملاء رغباتهم ، ولو انهم بدأوا بالاساس المتواضع السليم لما تعقّد البناء ولما شقّ الاستمرار فيه . وبرغمي ان التفت ثانياً الى الوراء فأقول مكرراً ومفسّراً إن عماد الترجمة والتعريب والتأليف جملة هم المترجمون والمعربون والمؤلفون لا فقهاء اللغة النظريون . فلو انا عنينا بتكوين الهيئات العلمية الادبية التي اشرت اليها سابقاً من الرجال الاكفاء العمليين الذين يعملون للعلم والادب لا لذواتهم ، والذين يعتبرون من الواجب عليهم الاتصال الكلي بيئاتهم ليستمدوا منها دائماً روحَ التجديد — لو انا عُنينا حقَّ العناية بهذا الاساس لسهل علينا بعد ذلك حل مشكلة الترجمة والتعريب لانها في الواقع جزء من كل ، وهي مترتبة حتماً على تكوين ذلك الاساس . ستكون تلك الهيئات بمثابة لجان خارجية عاملة وسيكون المجمع المستمدُّ منها واسطة عقدها ، في حين ان ما خالف ذلك من نظام امرٌ غير طبيعيّ ولا يناسب احوالنا وحاجتنا على اقل تقدير : اذ ما معنى تعيين اعضاء المجمع اللغوي تعييناً ثم تقسيم اعضائه الى لجان داخلية ومطالبتهم بتكاليف لا قبل لهم باحتمالها الا مكابرة ، وارتقاب جولاتهم في مصطلحات العلوم والآداب وهم مهما عظموا ضاق عن عددهم ، مقطوعو الصلة ببيئات او ببيئات محترمة لا يعنون البها رابطة من التمثيل المباشر ، وبذلك يستهدفون للتقصير والتحدي ايضاً ؟! لو انا عُنينا خير عناية بتكوين ذلك الاساس وبُنيت عليه المجامع اللغوية لما بقي علينا سوى ربط هذه المجامع (التي تمثل اقطار العالم العربي) بعضها ببعض عن طريق المراسلة وعن طريق المؤتمرات السنوية . ويسرني ان اقول ان اساس هذه الفكرة التي عرضتُها من قبل على لجنة توحيد المصطلحات العلمية في الطب والعلوم المتصلة به قد لاقت تعضيداً اجماعيًّا بحيث عُهد الى شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران بالترويج لها والدعوة الى قبولها في اثناء تجواله بلبنان وسورية في هذا الصيف

هذه هيئةٌ محترمة تجعل اساس نشاطها المبارك احترام آراء المتخصصين من اهل العلم خارجها برغم كونها في جملتها مؤلفة من ادباء متخصصين في فروع علوم الطب ، فتريد ان تعبر عن آرائهم وأن توفق بينها لا ان تكون آمرة مطاعة فيهم ، وتوافق من جهة أخرى على الاتصال الوثيق بنظيراتها من الهيئات المتخصصة في الاقطار العربية الاخرى ، حتى تضمن

بذلك التوحيد الاتم لجميع جهودها المشتركة تتضامن الفائدة وتهون الصعاب وتحل بذلك في جملة ما يحل مشكلة الترجمة والتعريب

***

ترجع هذه المشكلة المصطنعة إذن الى النزعة الفردية التي لا تحترم غيرها وتعيش مع الغابر أكثر لمن مصاحبة الحاضر ، فنحن انا في زمن تسود فيه النزعة العالمية والاتفاقات الدولية في أهم مرافق الحياة والفكر والعلم معاً ، بحيث اصبح من الحمق ان نترك منهج الاسلاف في شؤون كثيرة مهما بلغ احترامنا لجهودهم العظيمة بالنسبة لازمانهم

فاما عن الترجمة الادبية فلا غبار على ترسمنا نهج السلف وتنكبنا عن الاوضاع الشاذة أو المبتذلة ، ولا حاجة بنا الى التعريب الا حينما دعت الضرورة الى ذلك ، بيد أن للادباء الناثرين والناظمين قبل سواهم حقّ تقرير هذه الحاجة ، وليس لمن يتصدّرون للامامة اللغوية حقّ الامر — وان كان لهم حقّ الاقتراح — ما داموا هم ابعد الناس عن تعرف هذه الحاجة بدليل انقطاعهم عن استعمال اللغة استعمالاً تطبيقيًّا واسعاً ، واقتصارهم على الفتاوى في اسرارها ، وليس هذا وحده كافياً للمعونة على اختيار النهج الاسد في الترجمة الادبية دع عنك صياغة التعابير العصرية المناسبة في فنون الادب . وهنا لا بدّ لي من الاشارة الى التهاون الشائع في الترجمة اذ اصبح كثيرون يعدون الترجمة والتضمين العام شيئاً واحداً ، وهذا يقضي على روح الامانة في النقل خصوصاً في ترجمة الشعر ونقائس الآداب الغربية ، ولم تسلم من هذا التشويه والعبث حتى آثار شكسبير !

واما عن الترجمة العلمية فأرى انهُ لا بدّ من تقسيمها الى قسمين :

(١) الترجمة المقصود بها تنوير الجمهور المتعلّم الذي يطلب العرفانَ لذاته ويريد ان يلمّ بالجديد في العلم إلماماً عامًّا ، وهذه ينبغي ان تكون جامعة للكثير من مترجمات الاصطلاحات بلغة سهلة ، دون التشبث بالاصطلاحات العلمية الدولية الا عند الحاجة القصوى . وفي هذا المجال قد نستفيد من معارف فقهاء اللغة في المجامع الرسمية وفي الهيئات الخارجية ايضاً ، وان كان العلماء المتخصصون انفسهم لم يفتهم الالتفات الى خدمة اللغة من هذه الناحية ، وجادوا بمرادفات مترجمة قيمة جديرة باحترام فقهاء اللغة في عصرنا كما كان اسلافهم من قبل يحترمون نظائرها في عصورهم . واحسب انهُ لولا هذا الاحترام للاصطلاحات التي يجيزها المتخصصون ويستعملونها لما كان لابن سيده مثلاً ان ينجح في تأليف موسوعته (المخصص) . فعلينا إذن ان نرحب بجهود الكرملي والسكندري وتيمور وجبر ضومط ومعلوف والمقدسي وغيرهم من أئمة اللغة في هذا المجال الرحب كما قدرنا من

قبل جهود دار العلوم ، ولنا اسوة في ذلك أساليب المجلات العلمية القائمة بين جمهرة القراء مثل مجلة (Popular Science) ومجلة (Armchair Science) وغيرهما ، ودعْ عنك المصنفات العلمية العديدة المكتوبة بلغة الشعب المتعلم لجمهور المطلعين. وأني اخالف الذين يحسبون من الحذلقة الكاذبة الاهتمام بوضع كلّ ما يُستطاع من مرادفات العديد من الالفاظ العلمية سواء ترجمة او تعريباً على القواعد المألوفة ، لأنّ لكلّ هذا فائدتهُ في تربية الجمهور فضلاً عن خدمة اللغة ذاتها ، واعدُّ من الخيانة لكرامة اللغة وتراثها العظيم التهاون في هذا الباب ، بل الأَولى بأئمة اللغة ان يتواروا خجلاً اذا هم قصّروا في هذا الواجب وتركونا عالةً على ألسنة الغرب في غير ما حاجةٍ الى ذلك ، فنصبح عاجزين عن نشر المعارف ببيان فصيح بين الآلاف المتشوقين الى اغناء معارفهم .وقد كان رجال اللغة من المقصّرين فعلاً في مواقف كثيرة بحيث ان أكبر الفضل في خدمتها يرجع الى مجلاتنا المحترمة قبل رجوعه إليهم نظراً لتقاعد معظمهم وتهاونهم السابق، بينما هم لا يعترفون بفضل هذه المجلات العصامية في خدمة اللغة ، وهكذا كان موقفهم — للاسف — سلبيًّا ، وتبرّعاً لا حدَّ لهُ بالنقد الهادم !

(٢) الترجمة العلمية الصميمة ، وهذه ينبغي أن تكون بأيدي العلماء المتخصصين البصيرين باللغة ، بحيث يُعَدُّ من التطفّل غالباً تدخُّلُ فقهاء اللغة بالحكم الجازم فيها. ولقد كانت للمجتهدين من علماء السلف طرائق شتى في الترجمة والتعريب وفي وضع المصطلحات، ولكنّ كلّ هذا انقضى زمنهُ وأصبحنا ازاء الترجمة العلمية الصميمة مقيدين بقيود من الثقافة الدولية أقرّها العلماء في كلّ امةٍ متقدّمةٍ فأصبح من الفضول على العلم أن يعبث بها ويتعرض بالاستهزاء لتفاصيلها من ليس من أهل العلم الصميم

ولا نعني الترجمة العلمية الصميمة الانتصار للعامية في الديباجة كما يتوهم بعض النقاد ، — وان كانت العامية في ذاتها موضع تقدير حتى في الادب الصرف كأساس لانواع من الاشتقاق والتعابير المستحدثة في الغرب ، وفي مقدمة أنصارها الكاتب المصري المشهور المستر كومبتون ماكنزي — فان فصاحة الديباجة السلسة مما يجب أن يُتوخّى في العلميات والادبيات على حدٍّ سواء ، ولكنا نعني الانتصار الحتْم لنظام الاصطلاحات الدولي الذي يقضي بتضحية النزعات الاقليمية الخاصة فضلاً عن النزعات الفردية في سبيل توحيد المصطلحات العلمية في جميع البلاد ، بحيث أنّ من يتبع ذلك النظام تكون اصطلاحاته مفهومة في جميع الدوائر العلمية في العالم. وقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها في التسمية حتى في نفس اوربا في علم الحيوان مثلاً حيث توجد آلافٌ من العائلات والاجناس

والانواع الحيوانية حتى جاء لينيوس Linnaeus واقترح لنا سنة ١٥٧٨ م اساس القانون الدولي المتبع الآن في وضع اسمائها ، وأهمُّ ما يعنينا منهُ أن العائلات الحيوانية (famlies) يجب تحديدها ، وان هذه العائلات تقسم الى أجناس (genuses) وأنواع (species) الخ . ، وأننا اذا ما وضعنا اسماً لحيوان مكتشف حديثاً فيجب بعد تعرُّف عائلته ان لا نكتفي بوضع اسم مفرد اللفظ لهُ، بل يجب ان يكون اسمهُ مؤلفاً من اسم جنسهِ + اسم نوعهِ + اسم مكتشفهِ + تاريخ الاكتشاف . وبهذه الطريقة امتنعت الفوضى بتاتاً في هذا المجال . ولدينا الى جانب ذلك اتفاقات دولية حديثة نسبيًّا للاصطلاحات في علم التشريح وعلم البكتريولوجيا وغيرها ، وكلها تعتمد على اللغتين اللاتينية والاغريقية في الاشتقاق باعتبار ان هاتين اللغتين أصبحتا ملكاً للعالم وتراثاً من ثقافتهِ القديمة ، وليستا خاصتين بشعب من الشعوب او بفريق منها . فاذا كنا ننظر الى مهجور اللغة العربية كتراث للاشتقاقات الادبية فلا يمكنا ان نعيش بمعزل عن العالم العلمي في التنكب عن قواعدهِ للاشتقاق العلمي ، والاَّ كنا أشدَّ الخاسرين . واحسب ان هذا موضوع مفروغ منهُ في نظر كل مشتغل بالعلم اشتغالاً صحيحاً وإن كابرَ في ذلك مَنْ ليسوا من أهلهِ ، ولا بدَّ من مراعاتهِ في وضع المعاجم المستقبلة وما أكثر حاجتنا اليها والى تنوعها وتعدُّدها في جميع فروع العلم والادب

ولا تقتصر الحاجة في مجاراة العالم العلمي على اتباع صيغ التسمية المتفق عليها ، بل تشمل حتماً تعريب طائفة من النكرات التي هي بمثابة اسماء جنس وهذه لا يمكن ترجمتها بل لابدَّ من الحرص على اصولها ثم الاشتقاق منها . وكذلك بعض صيغ جديدة معرَّبة للنسبة (وقد استعملت هذه الصيغ سابقاً في علم الكيمياء ، وآن استعمال نظائرها في علم البكتيريا وفي علوم اخرى) لانها تساعد على تحديد صفات المركبات او منزلة المسميات . ففي كلّ هذا يكون الجمود اللغوي خيانة للعلم ، كما انَّ تهيُّبَ استحداث المرادفات في اللغة الادبية للعلم العام خيانة للغة . وكما انهُ لا يحق للعالم أن يعترض على الادباء اللغويين تصرّفهم هذا في مجالهم ، فكذلك لا يحقّ للاخيرين أن يعترضوا على ما لا يعنيهم في مجال العلم الصرف ما دامت أساليب لغة التعبير العامة مرعية محترمة

ومتى كانت هذه القواعد الاساسية ملحوظة مقدسة لم يبق الاَّ الاتفاقُ على التفاصيل وعلى تنظيم مناحي النشاط الادبي والعلمي ، وهكذا تستطيع أن تتضافر الهيئات النيابية المتخصصة والمجامع اللغوية الممثلة لها ، فتخدم بذلك اللغة والعلم والأدب في آن اجلَّ خدمة وأبقاها